ممارسات الأنظمة الأثيوبية في ارتريا.
في الذكري الخمسين للمذابح التي ارتكبها المستعمر في أسمرا

الجزء الأول

جريدة **" ارتريا الحديثة "**

ما يدفعنا الى إسترجاع التاريخ ليس بهدف ان نظل أسرى تلك الذكري واستحضار الكراهية والغضب، بل من اجل اكتساب الدروس ورفع الوعي لمنع تكرار التاريخ السلبي وبمناسبة الذكرى الـ 50لمذبحة اسمرا وضواحيها تنشر صحيفة ارتريا الحديثة بشكل مختصر الجرائم التي ارتكبتها الانظمة الاثيوبية بحق الشعب الارتري حتى يعرفها الجيل الإرتري الناشئ وكذلك الشعب الاثيوبي.

هذا المقال تم نشره في مقدمة الكتاب الذي ادرج في كتاب بعنوان " الظلم -قصص التجارب النضالية– المجلد "8للكاتب الراحل تسفايو قبرأب، ترجمة سلمون برهي . ويعتبر كتاب) الامبراطور والدرق (الذى ترجم الى اللغة الأمهرية من افضل المنشورات لدار النشر حدري.

فظائع المستعمر الأثيوبي ضد الشعب الارتري

عبر المؤرخ وعالم الأنثروبولوجيا كونتى روسيني الذي عاش في القرن التاسع عشر واجري بحثاً معمقاً عن نظام عيش وثقافة الشعب الارتري والقوانين التقليدية التى يمارسها، بإعجاب كبير بعد ملاحظته بشكل دقيق للقوانين والاعراف التقليدية

التى كانت تسير عليها القري والمدن الارترية بأنها) حارس دون سلاح(،ومن المؤكد ان قرى ومدن ارتريا كانت تحتكم بالقوانين والاعراف التقليدية في تاريخها الذي سبق دخول المستعمر ، ولم يحتاج الى الاحتكام الى السلاح او الشرطة، بل كانوا يحلون المشكلات التى تواجههم حسب العرف والتقاليد التى كانت سائدة آنذاك بطريقة متحضرة وواعية . وهذا يشمل جميع جوانب الحياة واستخدام موارد الارض وغيرها مايشير بشكل قاطع انه كان شعباً مسالما محباً للنظام.

في العصور الوسطى لم تكن هناك ممالك ذات جيش ضخم في المناطق التى تسمى الأن ارتريا وكانت في السابق تسمى) مدري بحري-أو مرب ملاش(، والتى تستطيع غزوا مناطق واسعة مثل هؤلاء القاطنين في المناطق الواقعة بعد النهر مثل السودان ومصر.

كان شعب مرب ملاش يتم ادارته من قبل عمد يتم اختيارهم ليحكموا حسب الأعراف والانظمة التقليدية، وكانت هناك بعض المعارك الصغيرة التى تقع بين عمد مدري بحري ومرب ملاش لكن علاقات سكان القرى الواقعة في المنطقتين كانوا يعيشون بطريقة سلمية .إن هذا الاسلوب الديمقراطي التقليدي رغم انه يعكس ادارة متطورة ويحول دون وجود سلطة ديكتاتورية، لكنه كان يعاني من بعض الجوانب السلبية وهو عدم قدرة هذه الادارة على إعداد ملوك يمتلكون قدرات عسكرية كبيرة ، ما ادي الى تعرض الشعب الإرتري الى غزوات ونهب متكرر ويصبح مكشوفا للقوى الخارجية.

الدافع الرئيسي لهذه الهجمات المتكررة هو الموقع الجيوسياسي والشواطئ البحرية لإرتريا .فسواء كان الغزاة الأوروبيين او حكام الاقليم المتنافسين ما فتئوا يقومون بغزوات متكررة للسيطرة على هذا الموقع الإستراتيجي وارتكبوا خلال ذلك الكثير من المجازر ضد الشعب الارتري المسالم، بهدف احباط محاولات ابناء البلد في مقاومة الغزو ، وكذلك لادخال الرعب والخوف في نفوسهم وتدمير امكانياتهم الاقتصادية .ان الشعب الارتري معروف عنه انه شعب مسالم، إعتاد العيش في ظل القانون والإعراف المتبعة ، فهو لا يحب اخذ ما ليس له ولم يتحدث عنه التاريخ انه

كان شعباً غازياً بل دائما ما كان يتعرض للغزو من قبل الغزاة الخارجيين وترتكب بحقه المجازر والفظائع المتكررة.

خلفية:

لقد ارتكب المستعمرون الأجانب الذين وطأت اقدامهم أرض إرتريا، بدءاً من تركيا ومصر وإيطاليا وبريطانيا، العديد من الفظائع ضد شعب إرتريا بهدف تثبيت استعمارهم وفرض حكمهم على الشعب الارتري .وتشير عبارة" الاستعمار التركي " التي تناقلناها جيل بعد جيل وما زالت مستخدمة، إلى قسوة الأتراك وممثليهم المصريين والجرائم التى ارتكبوها بحق الشعب الارتري.

وبالمثل ارتكب المستعمر الايطالي والبريطاني فظائع ضد الشعب الارتري تختلف في نوعها وانتشارها وحجمها بهدف ترسيخ استعماره، ومثال على تلك الفظائع سجن نخرا الذي بناه المستعمر الايطالي تحت الأرض، وهي جزيرة معروفة بحرارتها المرتفعة ، حيث تشير وثائق تلك الفترة ان المستعمر الايطالي كان يقوم بتعذيب الارتريين الذين كانوا يقاومون استعماره.

سجن نخرا:

من الضروري اجراء الأبحاث وتوثيق الجرائم التى ارتكبها المستعمرون الذي سبقوا الاستعمار الاثيوبي واستعمروا هذه المناطق عبر الازمان والفظائع التى ارتكبوها .إلا ان مضمون هذا المقال يركز على الحرب والجرائم التى ارتكبت ضد الشعب الارتري في التاريخ الحديث لارتريا واثيوبيا اي منذ 1991-1961 ،عندما قررت الأنظمة الأثيوبية القضاء على الثورة الارترية ،والتعدي على حق الشعب الارتري في تقرير مصيره ، من خلال ارتكاب الفظائع البربرية ضد الشعب الإرتري الأعزل.

وكمدخل للمقال نعود الى العصور الوسطى ونورد الجرائم والفظائع التى ارتكبها ملوك اثيوبيا بحق الشعب الارتري في مناطق مختلفة، والذين كانوا يأتون الى ارتريا عابرين نهر مرب، وهذا ضروري اذ يساعد على النظر الى فظائع النظام الإقطاعي والتفكير الذي كان سائدا ً آنذاك، في فهم الدوافع التى جعلت المستعمر الاثيوبي

اللاحق يرتكب الجرائم الوحشية ضد الشعب الارتري، وكخلفية يصبح من المهم أن نذكر ذلك.

بعض الجرائم والفظائع التى ارتكبها ملوك اثيوبيا:

يذكر انه في منتصف القرن السادس عشر قام ملك الأمهرا هظي يوهنس سرظي دنقل ، ثم إياسو الأول في اواخر القرن السابع عشر ، بعبور نهر مرب وقاموا بارتكاب جرائم وحشية واعمال نهب ضد سكان مناطق المنخفضات الإرترية وكذلك قبائل النارا والكوناما والعفر كما قاموا بحرق قرى كثيرة ونهبوا المواشي ثم عادوا الى مواقعهم.

في عام 1830 قام دقيات ووبي الذي كان يحكم منطقة الشمال وتقراي بعبور نهر مرب واستعمار مناطق المنخفضات، في كل من ام كلو، مصوع ، حرقيقو، ارض الكوناما ، النارا ، الساحل، سنحيت ونهب المواشي والممتلكات واستعبد الاطفال والنساء، ويروى ان وحشيته لم يكن لها حدود.

لدرجة انه كان يضع حبيبات الذرة الساخنة جداً في آذان الناس لتعذيبهم مايؤدي الى اصابتهم بالصمم وانتشرت مقولة في تلك الفترة تقول " ان من عاش في زمن ووبي قضى وقته ينادى ووبي."

في عام1870 قام ملك اثيوبيا بارسال جيش عرمرم بقيادة رأس الولا وعدد من القادة العسكريين الى مناطق المرتفعات والساهو وقام بمداهمة النارا والكوناما ، والحباب والبنى عامر والمنسع ودنكل مراراً ، وارتكبوا العديد من المجازر وأحرقوا القرى وحوّلوها إلى رماد ودمروا العديد من الممتلكات والمواشي.

لم يقف الشعب الإرتري صامتاً أمام كل عمليات النهب المتكررة، بل كان يحاول الدفاع عن نفسه وقتال تلك الجيوش الضخمة بأفضل ما يستطيع .لكن هذا الجيش الكبير الذي أخذ ونهب، كان فوق إمكانياته .معركة نهر بيلزا عام1842 ، حيث سقط العديد من ملوك مرب ملاش ببطولة مع أطفالهم وشعبهم لوقف غزو وبي.

في 20 مايو1878 ، خاض رأس ولدى ميكائيل سلمون من هزقا معركة ناجحة ضد جيش الإمبراطور يوهنس بقيادة رأس باريا) أبغالا (في أسمرا قتل خلالها رأس باریاو .وفي عام 1888،وهي السنة التى قام فيها إقطاعيو ولقايت ورأس الولا

بنهب قري النارا بشكل متكرر ، مادفع قومية النارا الى نصب كمين لجزء من هذه القوات في ضواحي إمبالكادا والقضاء عليهم،) وهي قوات غير نظامية كانت تأخذ اجرها مماتنهبه من قرى .(كما قامت قومية الساهو في مناطق قابونا وكاريبوسا وعلى قدي بخوض معركة ضد قوات الولا ، كذلك قامت قومية العفر بنصب كمين ضد أ احد الجيات واغتياله واستعادة المواشي والممتلكات التى نهبت منهم ، وكل هذا كان جزء من عمليات التصدي التى كان يقوم بها الشعب.

راس ولدى ميكائيل سلمون:

وبسبب الغزوات وعمليات النهب المتكررة، تعرض شعب إرتريا الكادح، الذي كان موضع إعجاب بكدحه وثرواته ومواشيه، للجوع الشديد والفقر بعد ان نُهبت محاصيله ومواشيه وبضائعه.

وبحلول الوقت الذي دخلت فيه إيطاليا إرتريا، كان عدد سكان إرتريا قد انخفض بشكل حاد بسبب كثرة المجازر والغزوات التى تعرض لها، فضلاً عن الجفاف الذي شهدته البلاد، فعندما دخلت إيطاليا إرتريا، كان عدد السكان 191.000 فقط، بحسب الوثائق المعاصرة .ويشير هذا الرقم إلى أن شعب إرتريا تعرض للدمار وكاد أن يباد بسبب الغزوات المتكررة ونهب شعبه ومواشيه وممتلكاته.

رواية مخجلة في تاريخ مجيد:

معركة عدوة التاريخية، التي دارت رحاها في مارس 1896 بين إيطاليا والإمبراطور الإثيوبي منيليك، هي المعركة الوحيدة التي هزم فيها" الجيش الأوروبي الحديث "أمام" الجيش الأفريقي المتخلف."

في هذه المعركة، قُتل حوالي 6000 إيطالي) إيطاليون وجنود من مختلف البلدان الاستعمارية (وتم أسر .1800 وكان من بين الأسرى 1200 إرتري تابعين للجيش الإيطالي، وكان معظم السجناء المتبقين من الإيطاليين .بعد هذه المعركة تم الافراج عن الجنود الايطاليين وتسليمهم الى الحكومة الايطالية بينما الارتريين الذين كانوا ضمن الجيش الايطالي قطعوا ايديهم وارجلهم من خلاف.

وعندما احتج الإرتريون الذين وقفوا إلى جانب جيش منليك وقاتلوا ضد إيطاليا وساهموا بشكل كبير في انتصار منيليك مما يحدث لهم، تم إنقاذ العديد من أولئك الذين كانوا ينتظرون المحاكمة.

لكن أكثر من 400 من المواطنين قد تم تشويههم بالفعل .وقد نزف معظمهم حتى الموت، في حين عاد عدد قليل منهم إلى منازلهم بعد ان قطعت ايديهم وارجلهم من خلاف، ووصف المؤرخ والكاتب الإثيوبي البروفيسور /أفورقي قبريسوس، الحادثة بأنها" قصة مخزية في تاريخ نبيل."

بعض ضحايا الحكم القاسي للإمبراطور منليك

ان التاريخ الذي تم سرده في الجزء الاول من هذا المقال يوضح الدافع وراء الوحشية التى ارتكب بها الحكام الإثيوبيين بقايا الازمنة الاقطاعية الاثيوبية و الثقافة الإقطاعية والقسوة والتفكير الاستعماري الظالم الذي ترسخ في اذهانهم و ادى الى ارتكابهم لجرائم وحشية ضد الشعب الارتري المسالم خلال فترة الكفاح المسلح (1961-1991).